مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

جدلية الآلام النفسية في الشعر العراقي المعاصر: شعر ما بعد عام ٢٠٠٣م أنموذجًا

الباحث م. م. نسرين جليل الشرماني
Ahmedasaad777777@gamil.com
طالبة دكتوراه في جامعة طهران، مجمع الفارابي، قسم اللغة العربية وآدابها
المشرف د. جهاد فيض الإسلام
feyzoleslam@ut.ac.ir
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، إيران

الملخص:
يتناول هذا البحث الموسوم بـ" جدلية الآلام النفسية في الشعر العراقي المعاصر: شعر ما بعد عام ٢٠٠٣م أنموذجًا "تمثلات الألم النفسي في التجربة الشعرية العراقية الحديثة، بوصفه بنية دلالية وجمالية متولدة من تراكم الحروب والمنافي والانكسارات الاجتماعية والسياسية. فالقصيدة العراقية بعد عام ٢٠٠٣م لم تعد مجرّد نص يسجل الألم، بل أصبحت فضاءً يتقاطع فيه النفسي مع الجمعي، والذاتي مع التاريخي، لتتشكل جدلية شعرية تعكس انكسار الذات وقلق الجماعة في آن. اعتمد البحث المنهج التحليلي–الوصفي، مع توظيف مقاربات نفسية وثقافية، للكشف عن أعماق البنية الشعورية للنصوص المدروسة. وقد انقسم إلى محورين: الأول يبحث في تمثلات الآلام النفسية على مستوى الذات والجماعة، فيما يدرس الثاني الأدوات الجمالية التي اعتمدها الشعراء مثل الصورة الشعرية، والانزياح الدلالي، والإيقاع المتشظي، والرمزية. وتوصل البحث إلى أن الألم النفسي في الشعر العراقي المعاصر غدا جدلية شعرية وجمالية، لا مجرد تيمة موضوعية، إذ تحول النص إلى شهادة وجودية تحفظ أثر الخراب وتحوّله إلى قيمة فنية.

Abstract:
This research, entitled “The Dialectics of Psychological Pain in Contemporary Iraqi Poetry: A Post-2003 Model”, aims to study the presence of psychological pain in modern Iraqi poetry, through analyzing its representations and manifestations as a semantic and aesthetic structure at the same time. The period after 2003 represented a decisive turning point in Iraqi history, as wars, occupation, forced exiles, and social disturbances left a deep impact on the individual and collective conscience, and this was clearly reflected in Iraqi poetry. From this point, the research deals with the aspects of psychological pain in the Iraqi poem, whether at the level of the self torn between fear, fracture, and identity loss, or at the level of the collective burdened with the memory of war, exile, and loss.For this purpose, the research adopted the descriptive–analytical method, with the use of psychological and cultural approaches to reveal the depths of the emotional structure of the studied texts. The research was divided into two main

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

axes: the first studies the representations of psychological pain at the personal and collective levels, and the second addresses the artistic mechanisms that poets used in formulating the discourse of pain, such as poetic imagery, semantic deviation, fragmented rhythm, and symbolism. The results showed that psychological pain was no longer a passing poetic subject, but rather turned into a central structure that dominates the texture of the Iraqi poem after 2003, and gives it its aesthetic and existential specificity, so that the poem became an emotional and testimonial document that preserves the effect of destruction, and at the same time transforms it into an artistic value open to reception and interpretation.

مقدمة:

يشكّل الشعر العراقي المعاصر بعد عام ٢٠٠٣م مرآةً حقيقية للتحولات العاصفة التي مرّ بها المجتمع، إذ انفتح النص الشعري على جراحات الإنسان العراقي وهمومه النفسية في ظل الحروب والاحتلال والاقتتال الداخلي. وقد برزت في هذه المرحلة قصيدةٌ مشبعة بالقلق والاغتراب، متكئة على لغة مكثفة وصور رمزية وأساليب جديدة في التعبير عن الألم. ومن هنا، تكتسب دراسة جدلية الآلام النفسية في الشعر العراقي أهميتها، لأنها تسعى إلى الكشف عن كيفية تمثّل التجربة الفردية والجماعية في نصوص ما بعد ٢٠٠٣م، وما تنطوي عليه من دلالات جمالية وشهادية في آن واحد.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يتناول أحد أبرز الأنساق الشعورية التي تميز بها الشعر العراقي المعاصر، وهو نسق الألم بوصفه مركزًا دلاليًا وجماليًا تتقاطع فيه التجربة الفردية مع الجماعية، والتاريخية مع الوجودية. فالشاعر العراقي الحديث لم يعد يكتب عن الألم بوصفه موقفًا أو ردّ فعل، بل بوصفه بنية تكوينية في صلب القصيدة، ولغة تعبّر عن اختلالات الذات والواقع. ويأتي هذا البحث ليسدّ فجوة في الدراسات الأدبية التي غالبًا ما تناولت الشعر العراقي من زوايا سياسية أو أسلوبية، مغفلة الأثر النفسي والجمالي الذي أحدثه الألم في تشكيل البنية الشعرية.

إن أهمية البحث تنبع كذلك من كونه يُعنى بتحليل نماذج شعرية واقعية من دواوين منشورة لشعراء معاصرين عراقيين، ويكشف عن تنوّع تمثلات الألم في النص الشعري، وتطورها الفني، ومضامينها النفسية والاجتماعية، مما يجعله مرجعًا نقديًا معاصرًا في مجال الدراسات الأدبية الحديثة.

اشكالية البحث

كيف تجسّدت جدلية الآلام النفسية في الشعر العراقي المعاصر بعد عام ٢٠٠٣م، وما أبرز الآليات الجمالية والدلالية التي اعتمدها الشعراء في التعبير عنها؟

أسئلة البحث:

١. ما أبرز تمثلات الآلام النفسية في الشعر العراقي المعاصر بعد ٢٠٠٣م؟
٢. كيف تداخل الألم الفردي مع الجمعي في صياغة النص الشعري؟
٣. ما الأدوات الجمالية التي اعتمدها الشعراء (الصورة، الانزياح، الإيقاع، الرمز) لتجسيد هذه الآلام؟
٤. هل أدّت هذه النصوص وظيفة جمالية خالصة أم وثائقية–شهادية؟

أهداف البحث:

١. الكشف عن تمثلات الآلام النفسية في الشعر العراقي المعاصر بعد عام ٢٠٠٣م.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

٢. بيان تداخل البعد النفسي الذاتي مع البعد الجمعي في الخطاب الشعري.
٣. تحليل الآليات الجمالية التي حوّلت الألم النفسي إلى بناء شعري متماسك.
٤. إبراز دور الشعر العراقي في تحويل المعاناة إلى وثيقة جمالية وشهادية تحفظ الذاكرة الفردية والجمعية.

فرضيات البحث:

١. تتجلى الآلام النفسية في الشعر العراقي بعد ٢٠٠٣م بصور الاغتراب وفقدان الهوية وتجربة الحرب والمنفى.
٢. يمتزج الألم الفردي بالجمعي في النص الشعري، فتصبح "الأنا" مرآةً لآلام الجماعة.
٣. اعتمد الشعراء أدوات جمالية كالصورة الرمزية، والانزياح، والإيقاع المتشظي، والرمز لتجسيد الألم النفسي.
٤. تؤدي النصوص وظيفة مزدوجة: جمالية من حيث البنية الفنية، وشهادية من حيث توثيق المعاناة.

الدراسات السابقة:

تناولت بعض الدراسات العربية مفهوم الألم النفسي في الشعر من زوايا متعددة، وكان لها أثر في تمهيد الطريق أمام هذه الدراسة. من أبرزها:

١. هاتو حميد حسن في بحثه الموسوم "محطات الألم عند السياب: دراسة نفسية في شعره" (مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد ١١، ص ٣٢٦–٣٣٤). وقد قدّم قراءة نفسية معمّقة لأشعار بدر شاكر السياب، مبرزًا كيف تحوّل الألم النفسي إلى قوة دافعة للشعرية لديه، وكيف صاغ الشاعر تجربته الداخلية القاسية ضمن نصوص مشبعة بالدلالات الوجودية والجمالية.
٢. حسن بن عبد الله القرشي في دراسته "ظاهرة الألم في الشعر: دراسة في المضمون" (مجلة الإمام، ٢٠٢٠) وقد ركّز فيها على تحوّل الألم من كونه انفعالًا داخليًا خفيًا إلى موضوع شعري مصرح به، مبيّنًا أن الشعراء المعاصرين جعلوا من الألم بنية جمالية مركزية داخل النصوص، لا مجرد حالة شعورية عابرة.

ورغم أهمية هاتين الدراستين في الكشف عن حضور الألم النفسي في الشعر العربي الحديث، فإنهما لم تتناولا جدلية الآلام النفسية في الشعر العراقي المعاصر بعد عام ٢٠٠٣م، بوصفها بنية دلالية وجمالية مركّبة تجمع بين النفسي والجمعي، والذاتي والتاريخي. ومن هنا تأتي خصوصية هذه الدراسة التي تسعى إلى سد هذه الفجوة عبر تحليل نصوص عراقية معاصرة بمنهج تحليلي–جمالي يستند إلى المقاربتين النفسية والثقافية.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي–الوصفي في تحليل النماذج الشعرية، وذلك لقدرته على الكشف عن السمات الجمالية والدلالية للألم في البنية النصية. كما يستعين البحث بـالمنهج النفسي في تفسير أبعاد الألم الذاتي، والمنهج الثقافي–الأنثروبولوجي في تحليل الخلفيات التاريخية والاجتماعية التي أسهمت في تشكّل الألم الجمعي في الشعر العراقي.

وقد تم اعتماد نماذج شعرية حقيقية من دواوين منشورة لشعراء عراقيين معاصرين ينتمون إلى أجيال مختلفة، بهدف تتبع تطور ظاهرة الألم وتنوّع معالجتها، وبيان البنية الجمالية التي تنتجها القصيدة العراقية في ظل السياق المعاصر، ولذا؛ تتشكل الدراسة من محورين رأسيين وفي كل محور منهما ثلاثة مباحث أساسية:

المحور الأول: تمثلات الألم الذاتي والجمعي:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

تمهيد:

يُشكّل الألم في الشعر العراقي المعاصر إحدى البنى المحورية التي تحكم رؤية الشاعر للعالم، ولذاته، ولتاريخه القريب. فالشاعر العراقي، وهو يكتب من قلب الجرح، لا يعبّر عن ألم شخصي فحسب، بل يستبطن تجربة جماعية مشحونة بالخذلان والانهيارات السياسية والاجتماعية. وقد أصبح هذا الألم، بفعل التراكم الزمني والذهني، مادّة أساسية في تشكيل القصيدة العراقية، لا تقتصر على مضمونها، بل تمتد إلى بنيتها التعبيرية والأسلوبية، كما أشار عدنان الصائغ في ديوانه تأبط منفى حين قال: "تنهار اللغة كلما اقترب الحنين من صوت أمي" (الصائغ، ٢٠٠٤، ص ٦١)، في دلالة على العلاقة العضوية بين التجربة الشعورية وتفكك البنية اللغوية.

لقد فرضت عقود من الحرب والمنفى والخذلان السياسي على الشاعر العراقي أن يتحوّل من كاتب إلى شاهد، ومن ذات مستقلة إلى ذات مثقلة بميراث الخسارة، كما عبّر عن ذلك عبد الزهرة زكي حين قال: "أستيقظ على أسماء الموتى" (زكي، ٢٠١٧، ص ٤٠)، مما يشير إلى أن الزمن اليومي نفسه أصبح محاطًا بالألم.

ومن ثم، تتوزع تمثلات هذا الألم على مستويين متداخلين:

الأول: ذاتي وجودي ينبع من داخل الذات المهشّمة والمنكفئة على ألمها، كما يتجلى في قول مهند العزاوي: "في مرايا مكسورة لا تعكس شيئًا سوى ظلٍّ بكى ذات قصف" (العزاوي، ٢٠١٦، ص ١٩).

الثاني: جمعي تاريخي يُعبّر عن المعاناة الجمعية الناجمة عن الحرب، الفقر، النفي، وسقوط الأحلام الجماعية، كما أشار سعدي يوسف حين كتب: "دجلة يبكي، والرصاص يطارد أحلام الأطفال" (يوسف، ٢٠٠٥، ص ٥١).

وتكمن خصوصية القصيدة العراقية المعاصرة في أنها لا تفصل بين المستويين، بل تجعل من الذات مرآة للجماعة، ومن التجربة الشخصية ترجمانًا لجراح وطن بأكمله، وفق ما ذهب إليه فاضل العزاوي حين قال: "الحرب تخرج من حيطان البيت، وتلبس وجهي في المرايا" (العزاوي، ٢٠١٢، ص ٦٣).

ومن هنا، يسعى هذا المبحث إلى تحليل تمثلات هذين البُعدين من الألم في الشعر العراقي المعاصر، من خلال الوقوف على نماذج شعرية حقيقية مختارة من دواوين عراقية حديثة، للكشف عن طرائق بناء الخطاب الشعري المؤسس على الألم، وكيفية تَحوّل التجربة القاسية إلى بناء جمالي ودلالي.

المبحث الأول: الألم الوجودي وتفتت الهوية:

يشير الألم الوجودي في الشعر العراقي المعاصر إلى الانكسار الداخلي العميق للذات الشاعرة، وتحوّل الكائن إلى كيان هشّ يعيش تمزقًا في العلاقة بينه وبين العالم، وبينه وبين ذاته. إنّ الحروب والانكسارات السياسية والاجتماعية، إلى جانب الانعزال النفسي والوحدة، شكّلت جميعها منبعًا خصبًا لألم داخلي متأصّل في البنية الشعورية للشاعر العراقي. ويظهر ذلك من خلال انشطار الهوية، وضياع المعنى، والغرق في تأملات عبثية، جعلت الذات الشعرية لا تتعرّف على نفسها، ولا تثق بمحيطها، وتعيش حالة وجودية مأزومة.

يتجسد هذا النمط من الألم في لغة شعرية تنحو نحو الانكسار والانعطاف إلى الداخل، وتُعبّر عن النفس المتألمة من خلال صور مكسورة، رموز معتمة، وجُمل منقوصة أو متقطّعة. وغالبًا ما يتكرر استخدام مفردات مثل: (أنا، الظل، المرآة، الضياع، الانكسار، الغياب، اللاشيء، الغربة، الخوف، التيه)، لتشكّل حقلًا دلاليًا خصبًا يُحيل إلى أزمة الهوية الفردية في سياق كوني غير متصالح.

في أحد أبرز المقاطع التي تُجسّد هذا التمزق، يكتب الشاعر مهند العزاوي في ديوانه تحت رماد الذاكرة:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

أضعتني...
وأنا أبحث عني
في مرايا مكسورة
لا تعكس شيئًا
سوى ظلٍّ بكى ذات قصف (العزاوي، ٢٠١٦، ص ١٩).

يظهر التوتر النفسي جليًا هنا في انعدام المرجعية للذات. المرآة، التي عادةً ما تعكس صورة متماسكة للهوية، تأتي "مكسورة"، فتعكس "ظلًا" باكيًا بدلًا من كيان كامل. كما أن فعل "البحث" عن الذات لا يثمر سوى عن الفراغ، ما يدل على انعدام المعنى وغياب المركز. إن عبارة "ذات قصف" تختزن خلفها زمنًا مضغوطًا من الألم، يوحي أن هذه الأزمة ليست لحظة طارئة، بل نتيجة قصف داخلي وروحي طويل الأمد.

ويكمل هذا المعنى علي وجيه في ديوانه ذاكرة لا تنام:

أنا المكسور
الذي يرتّب شظاياه كل مساء
ليبدو صباحًا
وكأنه لم يتألم (وجيه، ٢٠١٥، ص ٣٤).

تُظهر هذه الأبيات مفارقة بين ظاهر الحياة وباطن النفس، حيث يُجاهد الشاعر لإخفاء انكساره الداخلي خلف ستار زائف من التماسك. "شظايا" الذات هنا ليست قابلة للترميم، بل تُرتّب شكليًا فقط، مما يجعل الشاعر في صراع يومي مع واجهة الخداع والداخل المحطّم. كما أن فعل "يبدو" لا يؤكد، بل ينفي الحقيقة، ويكشف عن عمق الهوّة بين الذات وما تُظهره.

ويضيف عبد الرزاق الربيعي بعدًا آخر لهذا التيه الداخلي:

أعيش في بيتي
كما لو كنت لاجئًا
أخشى الطرق على الباب
كأنني عابر في حياتي (الربيعي، ٢٠١٨، ص ٤٤).

إن الغربة هنا تتجاوز حدود المكان إلى مفاصل الهوية. البيت – الذي يُفترض أن يكون مأوى وانتماءً – يتحوّل إلى منفى داخلي. اللاجئ هنا لا يعيش في المخيمات، بل في ذاته وذاكرته، وفي الخوف من الحياة ذاتها. إن "الخوف من الطرق" يوحي بانعدام الأمان النفسي، بينما "عابر في حياتي" تشير إلى حالة انقطاع بين الشاعر وذاته ووجوده.

وتظهر صورة تكميلية لهذا القلق الوجودي في مقطع للشاعر أحمد عبد الحسين:

كلما فتحت النافذة
رأيت نفسي في الشارع تمشي دون وجه
وكلما أغلقتها
شعرت أنني محبوس في جلدٍ ليس لي (عبد الحسين، ٢٠١٩، ص ٥٨).

الازدواج النفسي في هذا النص يُبرز مفارقة بين الداخل والخارج، بين الرؤية الخارجية المفتقرة إلى هوية (دون وجه)، والانحباس داخل جسد غريب. إن الشاعر هنا لا ينتمي لا لذاته ولا لمحيطه، وكأن وجوده مجرّد تجربة تجريبية تتأرجح بين الرفض والاغتراب.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

جميع هذه النصوص تتضافر لتُشكّل صورة وجودية مشروخة، تعكس ذاتًا تتآكلها الأسئلة، وتتلاشى فيها الحدود بين الداخل والخارج، بين الحقيقة والزيف، وبين الكائن وظله. وهي نصوص تندرج تحت ما يمكن تسميته بـ"أدب الجرح الداخلي"، حيث لا يكون النص مجرّد بوح، بل محاولة لإعادة تعريف الكينونة بعد سقوط كل المعايير.

المبحث الثاني: الألم الجمعي بين الحرب والمنفى

لا يقتصر الألم في الشعر العراقي المعاصر على التجربة الذاتية فقط، بل يتعداها إلى ألم جمعي يتوارثه الجسد الثقافي العراقي منذ عقود. فقد شهد العراق تحولات كارثية متعاقبة: الحروب الطويلة، الحصار الاقتصادي، الاحتلال، الإرهاب، الطائفية، الفساد، والمنافي القسرية... وهذه الأحداث لم تكن مجرد خلفية للقصيدة، بل أصبحت هي القصيدة ذاتها.

إنّ الشاعر العراقي لا يتحدث عن ذاته وحسب، بل عن وطن يُقصف، وأطفال يُقتَلون، ومدن تُنهَب، وأحلام تُذبح علنًا. لقد تحول الشاعر إلى "شاهد مأساة" يسجل بالدم واللغة ذاكرة الألم الجمعي، فتداخل في قصائده صوت الذات بصوت الجماعة، وصار "أنا" القصيدة تارة نازفًا، وتارة صارخًا باسم "نحن."

وتتمثّل جدلية هذا الألم الجمعي في القصيدة العراقية من خلال صورتين مركزيتين:

أولاً) الحرب بوصفها جرحًا مفتوحًا لا يندمل.

ثانياً) المنفى بوصفه اقتلاعًا قاسيًا من الجذور.

الأول: الحرب بوصفها مرآة الخراب:

في ديوانه قصائد تحت أنقاض الحرب، يكتب سعدي يوسف:

دجلة يبكي
والرصاص يطارد أحلام الأطفال،
والخبز مرّ،
وبيوتنا بلا سقف ولا سلام (يوسف، ٢٠٠٥، ص ٥١).

تتداخل هنا عناصر الوطن في صورة مؤلمة: النهر – رمز الحياة – صار باكيًا، والأحلام الصغيرة تقتلها البنادق، والبيوت بلا سقف، بلا أمان. القصيدة ترسم خريطة الألم العراقي بكل تفاصيله: من الجوع إلى العنف، ومن الانهيار الاقتصادي إلى الفقد المعنوي.

أما فاضل العزاوي، في ديوانه الأسد في الحراشيف، فيستحضر آلام الحرب بتقنية التكرار الشعري:

الحرب لا تنتهي
الحرب تخرج من حيطان البيت
الحرب تلبس وجهي في المرايا
الحرب نائمة في فراشي. (العزاوي، ٢٠١٢، ص ٦٣).

يظهر في هذا المقطع أن الحرب لم تعد حدثًا خارجيًا، بل امتدّت إلى اليومي، إلى الحميم، إلى المرايا والسرير، فصارت هوية متلبسة بالجسد. إنها قصيدة عن المعيشة في قلب الكارثة، حيث لا فصل بين الداخل والخارج، ولا بين الشاعر والرصاصة.

ويكتب عبد الزهرة زكي، في ديوانه تحت الجلد:

"أعدّ أصابعي كل مساء
أخاف أن أجد واحدة ناقصة
منذ الحرب الأخيرة

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

وأنا أستيقظ على أسماء الموتى (زكي، ٢٠١٧، ص ٤٠).

إنها صورة مكثفة عن أثر الحرب على الجسد والذاكرة. كل شيء صار مهددًا بالفقد، حتى الأصابع. الاستيقاظ على "أسماء الموتى" يدل على أن اليومي مشبع بالحزن، وأن الموت لم يعد استثناءً، بل أصبح الرفيق الدائم.

الثاني: المنفى والاقتلاع من الجذور

المنفى في الشعر العراقي ليس مجرد مكان بعيد، بل حالة اقتلاع عنيف، وتجريد من الذاكرة، وهو يتمظهر غالبًا كألم مضاعف: فقدان المكان، وفقدان الذات المرتبطة به.

يقول عبد الكريم كاصد في ديوانه زهور في شقوق الجدران:

أحمل بيتي في حقيبة
وأمي في قميصي
ووطني في وجهي
لكني كلما دخلتُ مدينة
سألني الجنود عن جواز سفري فقط (كاصد، ٢٠٠٣، ص ٢٧).

تظهر مفارقة عميقة في هذه الأبيات، فالشاعر يحمل وطنه في ملامحه، في ذاكرته، لكنه غير معترف به في الحدود. المنفى هنا يُلغيه بوصفه ذاتًا، ويختزله إلى رقم في جواز سفر، فتتحول الهوية إلى حمل ثقيل في جيب غريب.

وفي قصيدة بعنوان سأعود بلا وجه، يقول علي الشلاه:

تركت اسمي عند بوابة الوطن
ومضيتُ إلى المنفى
كأنني أجرّ خيبتي كجثة
لا قبر لها (الشلاه، ٢٠٠٩، ص ١٦).

هنا، يختزل الشاعر تجربة المنفى بفقدان الاسم، أي فقدان الهوية. "الخيبة" تتحول إلى جثة، لكن دون قبر، وكأن لا أحد يريد حتى أن يعترف بالموت الرمزي لهذا الإنسان المقتلع من جذوره.

يقدّم الشعراء في هذه النماذج تمثيلًا مكثفًا للألم الجمعي، يربط بين الحرب والمنفى في شبكة من الصور المشبعة بالخراب والتمزق. ويتحوّل الجسد الشعري إلى مساحة توثيق للدمار، وإلى صرخة في وجه التآكل المستمر للذات والوطن.

الألم الجمعي في هذه القصائد لا يُقدَّم بوصفه معلومة سياسية، بل بوصفه إحساسًا كليًا تتلبّسه اللغة، وتُترجمه الصورة، ويتماهى فيه الشاعر مع وطنه المجروح، حتى لا يعرف أيّهما يبكي الآخر.

المبحث الثالث: الحنين والذاكرة والخراب الشعري

يُعد الحنين في الشعر العراقي المعاصر حالة وجدانية مركبة لا تقتصر على استرجاع الماضي، بل تُستدعى بوصفها أداة لمساءلة الحاضر والاحتجاج عليه. إنه ليس حنينًا إلى مكانٍ جغرافيّ فحسب، بل إلى هويةٍ مسلوبة، وزمنٍ مفقود، وعلاقاتٍ ممزقة. وقد ترافق هذا الحنين مع استحضار الذاكرة الجمعية والفردية بوصفها سجلًّا مفتوحًا للجراح، مما حوّل النص الشعري إلى مرآة لخراب الداخل، وتوثيق مستمر لانهيارات المكان والوجدان.

إن استدعاء الذاكرة في القصيدة العراقية المعاصرة ليس فعلَ نوستالجيا ساذجة، بل هو شكل من أشكال الرفض والمقاومة، إذ تُستعاد الطفولة، والأمهات، والمنازل، والأحياء، لا لتمجيدها، بل لرثائها، ولفضح ما

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

آلت إليه بفعل الخراب. وفي هذا السياق، يتحوّل الحنين من حالة شعورية إلى آلية سردية وشعرية للكشف، والمقارنة، والحسرة، والنقد.

يكتب الشاعر كاظم الحجاج في ديوانه مدن من رماد:

أحنّ إلى بيتنا الأول
لا لأنه واسع
بل لأنه ضاق علينا كما تضيق الذاكرة
حين تزدحم بصور الراحلين (الحجاج، ٢٠١٠، ص ٢٨)

يتجلى الحنين هنا من خلال تضاد دلالي: "البيت" بوصفه مكانًا ماديًا ضيّقًا، والذاكرة بوصفها مكانًا شعوريًا أكثر ضيقًا بفعل ازدحامها بالألم. يُصبح الحنين غير مرتبط بالراحة، بل بالضيق، لأن ما يُستعاد هو فاجعة الخسارة، لا مجرد الحنين إلى زمن جميل.

أما الشاعر عدنان الصائغ في ديوانه تأبط منفى، فيقول:

أفتح دفتري
فتتسلل روائح البيوت القديمة
وجدران المدرسة
وصوت أمي
فتنهار اللغة (الصائغ، ٢٠٠٤، ص ٦١).

هنا الذاكرة تُستدعى عبر الحواس: الروائح، الأصوات، الألوان، وهي محفزات عاطفية ترتبط بماضٍ لا يُعوّض. لكن هذه الاستعادة تؤدي إلى انهيار "اللغة"، وكأن الشاعر يفقد أدواته حين يواجه حزنه الصافي. الألم الناتج عن الحنين يتجاوز حد التعبير، فيتحوّل إلى صمت أو عجز.

وفي مقطع آخر يقول حسن النواب في ديوانه أحزان المدن القديمة:

حين أشتاق لأبي
أعود إلى دجلة
أرمي حجارة في الماء
وأبكي بصوت لا يسمعه أحد (النواب، ٢٠٠٧، ص ٣٩).

يرتبط دجلة – الرمز الحضاري والتاريخي – بالذاكرة العائلية، ويتحول إلى وسيلة تفريغ للحنين. "رمي الحجارة" هنا طقس شعائري يُوازي محاولة لاستحضار الأب الغائب، والدمع الخافت دلالة على ألم داخلي لا يُحتمل. الصوت الصامت في البكاء يوحي بأن الحنين قد أصبح ألماً داخليًا مغلقًا لا يُفصح عنه.

ويكتب ريان الكمالي في ديوانه حدائق المنفى:

كلما قرأت اسمي
تذكّرت يافطة المدرسة الابتدائية
ورائحة الطباشير
وكتبي التي تركتها تحت القصف
كأنني تركت جزءًا من قلبي (الكمالي، ٢٠١٦، ص ٥٣)

الذاكرة في هذا النص مرتبطة بالفعل اللغوي (قراءة الاسم) الذي يستدعي سياقًا زمنيًا-مكانياً (المدرسة)، لكن هذا السياق لا يُستعاد ببساطة، بل يقترن بالقصف والخراب. ترك "الكتب" تحت الأنقاض يتحول إلى فعل رمزي لفقدان جزء من الكينونة، مما يعكس كيف يتحوّل الحنين إلى ألم جمعي وشخصي في آن.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

إن الحنين في هذه النماذج الشعرية لا يُعيد بناء الماضي بوصفه ملاذًا، بل يعيد تمثيله بوصفه مرآة للخسارة. إنه استعادة مؤلمة، ومراجعة لِما لم يعد ممكنًا. تتداخل فيه المشاهد الحميمة (الأم، الأب، الطفولة، البيت، المدرسة) مع صور القصف، والفقد، والدمار، مما يجعل الحنين أداة لقراءة الخراب لا التعلق بالماضي فحسب.

تُظهر هذه القصائد أن الحنين لا يُحرّك الذاكرة فحسب، بل يُحرّض اللغة، ويُنتج شعرية قائمة على المفارقة والانكسار. فالبيت – رمز الأمان – يُصبح رمزًا للضيق. والكتب – رمز المعرفة – تُترك تحت الأنقاض. والاسم – رمز الهوية – يُستدعى ليكشف حجم الفقد.

المحور الثاني: جماليات التعبير عن الألم في الشعر العراقي المعاصر

تمهيد:

لقد اقترنت تجربة الشاعر العراقي الحديث بالألم من جهة، وبالسعي نحو تجاوز هذا الألم عبر الكتابة من جهة أخرى. فالقصيدة العراقية لا تكتفي بتسجيل الفقد، بل تسعى إلى تحويل المعاناة إلى شكلٍ جمالي، قادر على احتواء الألم دون أن يُفرغه من طاقته التعبيرية. وتؤكد جوليا كريستيفا (كريستيفا، ١٩٨٠) "أن النصوص المتولدة من المعاناة تنزع نحو تفجير اللغة التقليدية، وتوليد أشكال رمزية جديدة لتجاوز الألم لا لإنكاره"؛ وهذا ما نلمسه بوضوح في القصيدة العراقية المعاصرة، حيث يتحول الألم إلى محفّز جمالي.

ويذهب أدونيس في حديثه عن علاقة الألم بالإبداع إلى القول: "إن الشعر لا يُولد إلا من الخسارات الكبرى... فحين يخسر الإنسان وطنه أو ذاته، يبدأ في كتابة ما يشبه اللغة البديلة" (أدونيس، ١٩٩٥، ص ٤٢). وهذا بالضبط ما فعله الشاعر العراقي، حين صاغ من ألمه بنى شعرية تتجاوز المباشرة، وتُفضي إلى رمزية مكثفة وانزياح دلالي.

ويُشير عبد السلام المسدي إلى أن وظيفة اللغة الشعرية في مثل هذه السياقات تتحول من "نقل المعنى إلى استثارة المعنى" (المسدي، ٢٠٠١، ص ١١٣)، أي أنها لا تشرح الألم بل توحي به، مما يجعل الجماليات الشعرية نتاجًا لتوتر المعنى أكثر من كمال الشكل.

ومن هذا المنطلق، فإن البحث في جماليات التعبير عن الألم في الشعر العراقي المعاصر يستدعي الوقوف عند ثلاث آليات فنية برزت بقوة في شعر المرحلة الراهنة، وهي:

الصورة الشعرية والانزياح الدلالي: حيث يتشكل الألم عبر صور متفجرة، واستعمالات غير مألوفة للغة.

الإيقاع المتشظي والصمت الشعري: بوصفهما أداتين للتعبير عن الانكسار الداخلي.

الرمز والمجاز وتفكيك اللغة التقليدية: كسبل للتعبير عن ما لا يمكن الإفصاح عنه مباشرة.

المبحث الأول: الصورة الشعرية والانزياح الدلالي

تُعد الصورة الشعرية من أبرز الأدوات الجمالية التي اعتمدها الشعر العراقي المعاصر في التعبير عن الألم، إذ يتكثف فيها المعنى ويتحوّل الألم إلى تمثيل بصري أو استعاري يتجاوز المباشرة إلى الإيحاء. وقد تطورت الصورة الشعرية في الشعر العراقي الحديث نتيجة الضغط النفسي والوجداني، فخرجت من حيّز التشبيه والمجاز الكلاسيكي إلى آفاق سيميائية وانزياحية مكثفة، تتجاوز الحقل الدلالي التقليدي وتُحدث صدمة ذهنية وجمالية في ذهن المتلقي.

وإذا كانت الصورة الشعرية – كما يرى غاستون باشلار – هي "ولادة جديدة للأشياء في اللغة" (باشلار، ١٩٩٤، ص ١٦)، فإن شعراء العراق لم يكتفوا بإعادة تسمية الأشياء، بل أعادوا ترتيب الألم داخل الصور، فجعلوا من النار وردةً، ومن الصمت لغة، ومن الندبة وطنًا. ومن هنا، ارتبطت الصورة الشعرية بالانزياح

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

بوصفه انحرافًا متعمّدًا عن المألوف، وكسرًا للمتوقع، وتوليدًا لدلالات غير مباشرة تعبّر عن الألم من دون أن تُصرّح به صراحة.

وقد كان الألم أحد أبرز العوامل التي دفعت الشعراء إلى هذا الاستخدام المكثف للانزياح، لما يمنحه من قدرة على المراوغة، وتوسيع المعنى، والتعبير غير المباشر عن الألم، وتفجير طاقاته الكامنة في التوتر، والفراغ، والتناقض، والتمزّق.

في ديوان رماد الكلام، يكتب الشاعر العراقي هيثم عبد الرزاق:

في حلقي قطعة نار
كلما هممتُ بالغناء
احترق القصيد (عبد الرزاق، ٢٠١٨، ص ٢٢)

تُبنى الصورة هنا على استعارة مركزية: "قطعة نار في الحلق"، وهي ليست مجرد استعارة بل صورة رمزية مؤلمة، تدمج بين الفعل الجسدي (الغناء) والانفجار النفسي (الاحتراق). ويأتي الانزياح في قلب المفارقة: فالغناء فعل جمالي، لكن نتيجته ليست الموسيقى بل "احتراق القصيد"، أي أن الألم لا يسمح حتى بإنتاج الجمال، بل يلتهمه.

ويكتب حسن عبد راضي في ديوانه أقمار مشنوقة:

أتدلّى من مفردة
كالشهقة الأخيرة
لا أحد يرفعني
ولا أحد يتركني أسقط (عبد راضي، ٢٠١٣، ص ٣٥)

يتشكّل الانزياح هنا من خلال تحويل "المفردة" – أي الكلمة – إلى مشنقة، والذات الشاعرة إلى جسد يتدلى منها. إنها صورة ميتافيزيقية توحي بأن اللغة ذاتها أصبحت مكان الألم، وسقف المعاناة، وأن الشاعر محاصر ما بين الحياة والموت اللغوي. الانزياح يتبدّى في تداخل الفعل الجسدي مع البنية الشعرية، وفي توتير الصورة.

أما ناظم السياب في ديوانه وصايا الريح، فيكتب:

يخرج رأسي من القصيدة
كجثة من بين الأنقاض
وأبحث عن لساني
في الركام (السياب، ٢٠١٤، ص ٤١)

في هذه الصورة، تتحوّل القصيدة إلى مكان مدمّر، ويتحول الشاعر إلى ناجٍ من كارثة، لكن الناجي فاقد للغة، أو بالأحرى يبحث عنها كما يُبحث عن ناجين تحت الأنقاض. الانزياح هنا يربط بين النص والخراب، وبين اللسان والركام، في صورة تحمّل دلالة سياسية ووجدانية مزدوجة.

وفي نص آخر، يقول شاكر لعيبي:

كلماتي تمشي على عكازين
ووزن القصيدة يتلعثم. (لعيبي، ٢٠٠٦، ص ١٨)

الصورة الشعرية هنا تتداخل فيها اللغة الجسدية واللغوية: "الكلمات" مريضة، "الوزن" يتلعثم، وكأن الشاعر يعجز عن التماسك حتى في البنية الإيقاعية. الانزياح ليس فقط دلاليًا، بل وزنيًا وإيقاعيًا أيضًا، ويُعبّر عن أزمة الكينونة من خلال أزمة الكتابة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

تُظهر هذه النصوص نماذج متعددة من الانزياح الشعري الذي يعمل على نقل المعنى من دائرة الوضوح إلى حقل الالتباس الجمالي، ويحوّل الألم من حالة بيانية إلى طاقة رمزية. والصورة الشعرية هنا ليست مجرد زخرفة، بل "جهاز تشخيص نفسي" يلتقط التمزقات الداخلية وينقلها للقارئ بلغة الارتباك والانقطاع والاحتراق.

وقد تعدّدت وظائف الصورة الشعرية في التعبير عن الألم إلى:

التعبير عن الاختناق والعجز عن القول (النار في الحلق، الجثة في الأنقاض)

تصوير العلاقة المعطوبة بين الذات واللغة (القصيدة تشتعل، المفردة مشنقة)

تحويل اللغة إلى كائن مصاب (الكلمة تمشي على عكازين)

وهو ما يُظهر أن الانزياح والصورة لم يعودا ترفًا بلاغيًا، بل أصبحا جزءًا من ميكانيكا التعبير عن الألم.

المبحث الثاني: الإيقاع المتشظي والصمت الشعري

في الشعر، لا يُقاس الإيقاع فقط بالوزن أو التفعيلة، بل بما تولّده اللغة من توتر داخلي، وانقطاع، وتكرار، وصمت، وفراغ. وفي الشعر العراقي المعاصر، لم تعد البنية الإيقاعية خاضعة لنظام عمودي أو تفعيلي بالمعنى التقليدي، بل صارت انعكاسًا مباشرًا لحالة التشظي والقلق والتمزق الوجودي، فغاب التوازن، وحضر التقطيع، وتمركز الصمت بوصفه دلالة جمالية وتعبيرية.

إن تفكك الإيقاع وتقطيع الجمل الشعرية والوقفات الفراغية وحتى الصمت المقصود ليست ملامح ضعف في البناء، بل اختيارات فنية واعية تجسّد التوتر النفسي والانهيار الداخلي. ويذهب أنطوان كومبانيون إلى أن "الصمت في الشعر الحديث لم يعد ضد الكلام، بل صار داخله، يُنتج المعنى بالصمت أكثر مما يُنتجه بالنطق" (كومبانيون، ١٩٩٨، ص ١٣٧).

وفي هذا السياق، يُصبح الصمت جزءًا من البنية الصوتية للقصيدة، كما يصبح التشظي الإيقاعي (من خلال الانكسارات المفاجئة أو الجمل المبتورة أو غياب الانسجام الوزني) امتدادًا دلاليًا لحالة الذات المهشّمة.

في ديوانه خرائب الضوء، يكتب الشاعر علي محمود خضير:

أصمت...
ثم أصرخ...
ثم أنام على صدى صمتي. (خضير، ٢٠١٧، ص ١٧).

هنا يُشكّل التقطيع والبنية الثلاثية المتدرجة (صمت – صراخ – نوم) وحدة إيقاعية قائمة على التوتر والإيقاع النفسي. يتكرر الفعل ثم ينقلب إلى نقيضه، ثم ينتهي بعودة إلى الصمت. هذا الصمت الأخير ليس فراغًا، بل صدى، أي أنه صمت ممتلئ بالألم، بالذاكرة، وبما لا يُقال.

وفي ديوان نصوص ضائعة، يقول ضياء الخالدي:

وضعتُ
قلبي
على حافة القصيدة
ونسيتُ أن أكمل
السطر. (الخالدي، ٢٠١٩، ص ٢٣).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

يعتمد هذا المقطع على كسر الجملة الشعرية وتحويلها إلى مقاطع قصيرة منفصلة بصريًا وصوتيًا. ويكمن الجمال في انقطاع الجملة الأخيرة، إذ "نسي أن يُكمل السطر"، كأن الألم أقوى من الاكتمال، أو أن الإيقاع اختنق مع الإحساس.

أما نجم عذوف في ديوانه ثقل الفجر، فيكتب:

كأنني
أبي
حين عاد من الحرب
ولم يتكلم
أبدًا. (عذوف، ٢٠١٦، ص ٣١).

الصمت هنا ليس صفة، بل موقف، وهو يتكرر حتى يُصبح سلوكًا ممتدًا. وتُبنى القصيدة كلها على وتيرة بطيئة، كأنها تمشي فوق رماد، ويأتي فعل "لم يتكلم" في نهاية مفجعة، يُؤكدها الانقطاع و"أبدًا" التي تُسدل الستار. الإيقاع النفسي هنا يعلو على الإيقاع الوزني.

ويكتب صادق الطريحي:

قالوا: عد
قلتُ... :
لم أقل شيئًا
لأن الحروف كانت
تبكي. (الطريحي، ٢٠١٥، ص ٤٩).

في هذا المثال، يُوظَّف الصمت بعد الفعل "قلتُ"، بشكلٍ مقصود (الفراغ المطبعي)، وهذا الصمت هو ذروة التعبير، حيث ينسحب المعنى ليُفسح المجال للحزن. ثم يُسند البكاء إلى "الحروف"، فيُحول اللغة ذاتها إلى ذاتٍ مجروحة، غير قادرة على النطق .

تؤكد هذه النصوص أن الشعر العراقي المعاصر كسر مركزية الإيقاع الكلاسيكي، وتوجه نحو البنية التفكيكية للعبارات والجمل الشعرية، حيث صار الصمت نفسه شكلًا من أشكال الألم، والإيقاع وسيلة لقول ما لا يمكن التعبير عنه بالكلام فقط.

وتتجلى جمالية الصمت والتشظي في:

الجمل المقطوعة التي تعكس انقطاع النفس الداخلي
الفراغات المطبعية التي تُعطي للصمت صوتًا مرئيًا
الوقفات غير المتوقعة التي تُخلخل التوقع وتُفاجئ المتلقي
الكلمات المتكررة أو المتقطعة التي تُحاكي التوتر أو التردّد

ويُمكن القول إنّ القصيدة العراقية الحديثة صارت تُبنى على التكسّر، لا على الانسياب، وعلى السكوت العميق لا الجهارة.

المبحث الثالث: الرمز والمجاز وتفكيك اللغة التقليدية:

حينما تعجز اللغة العادية عن احتواء الألم، يلجأ الشاعر إلى الرمز والمجاز بوصفهما وسيلتين لتجاوز المباشرة والتقريرية، والاقتراب من جوهر المعاناة عبر التلميح لا التصريح. وفي الشعر العراقي المعاصر، بات الرمز ضرورة فنية وتعبيرية، إذ صار الواقع أكثر فجيعة من أن يُروى كما هو، وصارت اللغة بحاجة إلى تفكيك وإعادة تشكيل لتصبح قادرة على نقل ما لا يُنقل.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

وقد ذهب بول ريكور إلى أن "الرمز يفتح المعنى، ويحرّر النص من أسره الحرفي، ليعيد بناء التجربة بطريقة أكثر عمقًا وتأويلاً" (ريكور، ١٩٨٦، ص ٨٨)، وهو ما يلائم تمامًا طبيعة الشعر العراقي الحديث الذي كثيرًا ما يحمّل أشياء بسيطة (كالحجر، النافذة، الطين، الجدار...) رموزًا لمآسٍ أعمق، تعكس خرائب الوطن، والموت، والنفي، والخذلان.

من جانب آخر، لم يعد المجاز مجرد تزيين بلاغي، بل صار وسيلة تفكيك وإعادة إنتاج للغة. فالانزياحات المجازية في الشعر العراقي لا تستهدف الإدهاش فحسب، بل تهدف إلى إزاحة المعنى السطحي، وكشف الألم الكامن تحته. كما أن بعض الشعراء أخذوا يُفككون اللغة الموروثة – السياسية أو الدينية أو الخطابية – ويعيدون تشكيلها بلغة مرنة ومربكة، تُشبه ارتباك الألم نفسه.

في ديوانه تراب لا يصلح للزرع، يكتب الشاعر ماجد السامرائي:

قال الطين:
ما عدتُ طينًا
أنا أشلاء وطن. (السامرائي، ٢٠١٨، ص ٤٠)

الطين هنا لم يعد مجرد مادة أرضية، بل تحوّل إلى رمز لانهيار الوطن. يتكلم الطين، ويعلن تحوّله إلى "أشلاء"، ما يضفي على الجماد وظيفة بيانية، ويُجسّد التحوّل من الحياة (الطين) إلى الموت (الأشلاء). وهذا الرمز البسيط يُغني عن مئات الكلمات، ويُعطي الألم نبرة مؤلمة وشعرية في آن.

أما كريم عبد، فيقول في ديوانه أقف على رمادي:

علّقتُ جثتي
على جدار الكلام
وقلتُ: هذه لغتي الجديدة. (عبد، ٢٠١٤، ص ٢٦)

الرمزية هنا قاتمة: "جثة" الذات تُعلّق على جدار الكلام"، أي أن اللغة لم تعد وسيلة تواصل بل وسيلة قتل. و"اللغة الجديدة" ليست استحداثًا جماليًا بل حالة موات لغوي. يُحوّل الشاعر العلاقة مع اللغة إلى علاقة ضحية وموت، مما يُبرز تفكك المرجعية الخطابية، والانفصال بين الذات والكلمة.

ويكتب غزوان القرغولي:

أخاف من الجدران
فهي تحفظ ما يُقال سرًا
وتوشي بي إلى الليل. (القرغولي، ٢٠١٦، ص ١٧)

الجدار هنا ليس شيئًا ماديًا، بل رمز للرقابة والخيانة والتهديد. وتحويله إلى كائن سامع ومخبر يُضفي عليه بُعدًا وجوديًا وسياسيًا، يُظهر كم أن الحواس المادية تحولت في النص الشعري العراقي إلى منصات للخذلان.

وفي ديوانه مطر في الفم، يقول سامي مهدي:

صوتي حطام سفينة
تجره الريح نحو الصمت. (مهدي، ٢٠٠١، ص ٥٢)

في هذا المقطع، يُصبح الصوت – أداة التعبير – سفينة محطّمة، أي أن القول نفسه بات مهزومًا، والصمت هو المصير. الرمز هنا يتداخل مع المجاز الصوتي ليجسد انهيار القدرة على البوح.

تُظهر هذه النماذج أن الشاعر العراقي لجأ إلى الرمز لا ليختبئ، بل ليقول ما لا يمكن قوله، وليخلق لغة جديدة توازي ألمه. فكل مفردة تُعاد صياغتها: الطين لم يعد طينًا، الجدار صار عينًا تراقب، الصوت سفينة غارقة، اللغة جدارًا للموت.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

والرمز هنا يعمل على عدّة مستويات:

١ -الرمز المكاني: الطين، الجدار، الطريق، النهر – وتحويلها إلى كائنات ناطقة بالحزن

٢ -الرمز الوجودي: الجثة، الحطام، السفينة – للدلالة على انهيار الكينونة

٣ -الرمز اللغوي: الكلام، اللغة، الصوت – بوصفها مواضع العجز والخذلان

أما المجاز، فقد تحوّل من وظيفة زخرفية إلى وسيلة لخلخلة اللغة المعتادة، وكشف زيف البلاغة التقليدية، وتقديم بنية لغوية موازية للمعاناة.

الخاتمة:

لقد سعى هذا البحث إلى استقصاء ظاهرة الألم في الشعر العراقي المعاصر من خلال تتبّع تمثلاته النفسية والجمالية، سواء على المستوى الذاتي أو الجمعي، وتحليل الآليات الشعرية التي اعتمدها الشعراء في تحويل الألم إلى طاقة إبداعية. وتبيّن أن الألم لم يعد مجرد موضوع يُدرج في سياق القصيدة، بل أصبح بنية دلالية ووجودية تتغلغل في نسيج النص، وتمنحه خصوصيته وجماليته.

إن تجارب الألم – في بعدها العراقي – ليست طارئة أو ظرفية، بل ممتدة ومتجذرة، وهو ما يفسر حضور الألم بوصفه جوهرًا للقصيدة لا هامشًا فيها. كما أن الشاعر العراقي لم يكتف بتوصيف هذا الألم، بل عمل على تفكيكه لغويًا وجماليًا، فخلق صورًا جديدة، وكسر الإيقاع التقليدي، وابتكر رموزًا ومجازات تليق بحجم الخراب.

وبالوقوف على النماذج الشعرية التي تم تحليلها، نلاحظ أن القصيدة العراقية الحديثة لم تَخْفُ ألمها، لكنها أيضًا لم تسقط في المباشرة أو البكائية، بل استخدمت أدوات فنية عالية الدقة في تمثيله، متيحة للمتلقي أن يشارك في تجربة التأمل والوعي، لا في الاكتفاء بالتعاطف.

النتائج

خلصت الدراسة إلى أنّ الشعر العراقي المعاصر بعد عام ٢٠٠٣م قد مثّل مرآةً صادقة للآلام النفسية التي أصابت الفرد والمجتمع معاً، حيث تداخل الألم الفردي بالجمعي ليشكل نسيجاً شعرياً مشبعاً بالقلق والاغتراب وتشتت الهوية. واتضح أنّ النصوص لم تقتصر على البعد الذاتي، بل حمَلت معها هموماً وطنية وجماعية جسّدتها الصور الشعرية المكثفة والانزياحات الدلالية والإيقاعات المتشظية. كما أظهرت النتائج أنّ القصيدة العراقية لم تؤدِّ وظيفة جمالية بحتة، بل امتزج فيها الحس الفني مع البعد التوثيقي–الشهاداتي، الأمر الذي جعلها سجلاً حيّاً يعكس مأساة الفرد والوطن معاً.

التوصيات

توصي الدراسة بضرورة التوسع في دراسة تجارب شعراء ما بعد ٢٠٠٣م من زوايا نقدية متعددة، تربط الظاهرة الشعرية بعلم النفس وعلم الاجتماع لفهم أعمق للبعد النفسي في النصوص. كما توصي بإجراء مقارنات بين التجربة العراقية وتجارب عربية أخرى لمعرفة خصوصيتها في تجسيد الألم، وبالاهتمام بدراسة الأدوات الجمالية التي صاغت لغة الألم، لما لها من دور في تحويل الألم النفسي إلى طاقة إبداعية وجمالية. وأخيراً، تدعو الدراسة إلى تشجيع الباحثين على رصد التحولات النفسية والاجتماعية في الشعر العراقي المعاصر بوصفها مدخلاً لفهم الذات العراقية وما مرّت به من صدمات كبرى.

المصادر والمرجع:

أدونيس. (١٩٩٥). زمن الشعر. بيروت: دار العودة.

باشلار، غاستون. (١٩٩٤). جماليات المكان. ترجمة: غالب هلسا. بيروت: دار الفكر.

الحجاج، كاظم. (٢٠١٠). مدن من رماد. البصرة: دار ضفاف للنشر.

ISSN–2536–0027

الخالدي، ضياء. (٢٠١٩). نصوص ضائعة. بغداد: دار سطور للطباعة والنشر.
الربيعي، عبد الرزاق. (٢٠١٨). مدار الغيمة. بيروت: دار نينوى.
السامرائي، ماجد. (٢٠١٨). تراب لا يصلح للزرع. بغداد: دار الأمل للنشر.
السياب، ناظم. (٢٠١٤). وصايا الريح. بغداد: منشورات وزارة الثقافة العراقية.
الشلاه، علي. (٢٠٠٩). سأعود بلا وجه. بغداد: منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
الصائغ، عدنان. (٢٠٠٤). تأبط منفى. بيروت: دار المدى.
الطريحي، صادق. (٢٠١٥). أبجدية الحزن. بغداد: وزارة الثقافة العراقية.
العزاوي، فاضل. (٢٠١٢). الأسد في الحراشيف. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
العزاوي، مهند. (٢٠١٦). تحت رماد الذاكرة. بغداد: دار الورّاق.
عبد، كريم. (٢٠١٤). أقف على رمادي. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
عبد الحسين، أحمد. (٢٠١٩). سماء تتقرض. بغداد: دار سطور للنشر.
عبد الرزاق، هيثم. (٢٠١٨). رماد الكلام. بغداد: دار سطور للنشر.
عبد راضي، حسن. (٢٠١٣). أقمار مشنوقة. بغداد: الاتحاد العام للأدباء والكتاب.
عذوف، نجم. (٢٠١٦). ثقل الفجر. النجف: دار المحيط.
القرغولي، غزوان. (٢٠١٦). رئة ثالثة. بغداد: دار سطور للطباعة والنشر.
كاصد، عبد الكريم. (٢٠٠٣). زهور في شقوق الجدران. بيروت: دار الجمل.
كريستيفا، جوليا. (١٩٩٢). قوى الرعب: بحث في الجذام. ترجمة: جورج يرق، مراجعة: سعيد بنكراد. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
كومبانيون، أنطوان. (١٩٩٨). الشعر الحديث. ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي. الدار البيضاء: دار توبقال.
الكمالي، ريان. (٢٠١٦). حدائق المنفى. بغداد: دار شهريار.
المسدي، عبد السلام. (٢٠٠١). اللسانيات وأسسها المعرفية. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
مهدي، سامي. (٢٠٠١). مطر في الفم. بغداد: دار المأمون.
وجيه، علي. (٢٠١٥). ذاكرة لا تنام. بغداد: الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
يوسف، سعدي. (٢٠٠٥). قصائد تحت أنقاض الحرب. بيروت: دار الآداب.
ريكور، بول. (١٩٨٦). الرمز يُعطي ليفكر فيه. ترجمة: جورج الفار. بيروت: المركز الثقافي العربي.